## الفن في عصر السلالات المبكرة

### النحت المجسم في عصر السلالات المبكرة

من بين أبرز مميزات النحت المجسم من عصر السلالات المبكرة ما يأتي:

- نفذت بأسلوب تجريدي، إذ أن نسب أعضاء الجسم ملامح الوجه تبدو غير حقيقية.
- عدم الاهتمام بزخرفة الملابس والتفاصيل الداخلية للملابس.
- حركة التماثيل مبنية على السكون أي أنها تقريباً بوضعية جامدة.
- اهتم الفنان بتطعيم بعض أجزاء التمثال وخاصة العيون والحواجب بأحجار كريمة وأصداف وقار.
- تتميز هذه التماثيل بصغر الحجم إذ تبلغ أطوال بعضها ٢٧-٣٥ سم، وقسم منها تحمل كتابات يبدو منها أن صاحب التمثال يخبر الإله أنه في حالة تواصل دائمي من خلال الخشوع والاحترام له لذا يطلب من الإله أن يحقق له رغباته المتمثلة بطول العمر والذرية الكثير والملك والواسع وغيرها من الرغبات الدنيوية، لذلك أهتم الفنان بالمضمون أكثر من اهتمامه بالشكل.

لعل من أبرز نماذج النحت المجسم مجموعة من التماثيل المصنوعة من الحجر عددها أثني عشر تمثالاً عثر عليها في منطقة ديالى من تل أسمر (اشنونا) في معبد الإله آبو. كانت هذه التماثيل مدفونة تحت ارضية إحدى الغرف المقدسة في المعبد وهي لمجموعة من الآلهة والكهنة والمتعبدين. عثرت عليها البعثة الأمريكية التابعة للمعهد الشرقي برئاسة السيد هنري فرانكفورت. ينظر الشكل الآتي :

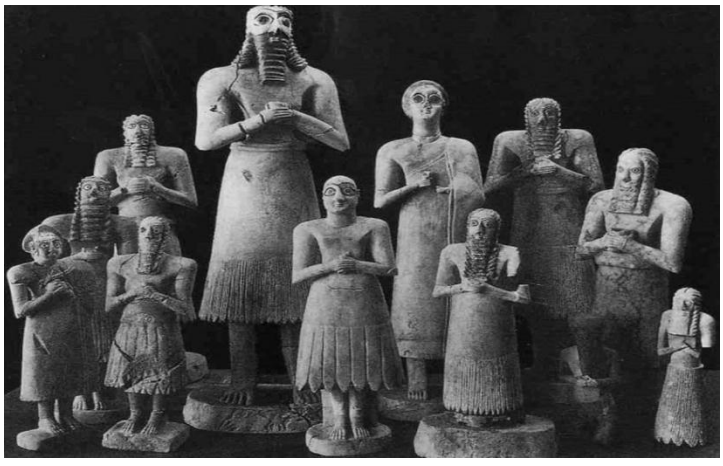

كانت هذه التماثيل بارتفاع من ٢٥-٧٥ سم. كانت معظم التماثيل صغيرة لرجل لهم لحى مستطيلة وشعر في وسطه فرق عريض وتتدلى خصلتان من هذا الشعر على جانبي الوجه حتى تصلان إلى الصدر، كما يظهر بعض الرجال من طبقة أوطأ وهم حليقي الرأس والوجه، ويكون القسم العلوي من الرأس عارياً على الدوام واليدين متشابكتين معاً أمام الصدر وتكون قبضة اليد اليمنى على قبضة اليد اليسرى وقد تمسكان بكأس كبيرة في بعض الأحيان.

نحتت هذه التماثيل بشكل مبسط وبنسب غير صحيحة إذا أستوحى النحات شكل الأسطوانة والمخروط في عمل تماثيله، لذا جاءت هذه التماثيل جامدة خالية من الحركة بما يؤكد وضعية التعبد. لذا سعى النحات لخلق فراغ بسيط بين الأيدي المضمومة إلى الصدر والجسم في محاولة لخلق موازنة وحركة بين الكتلة والفضاء وجعل القدمين كبيرتين نوعاً ما لزيادة استقرار التمثال على القاعدة وحفاظاً عليه من الكسر.

نشاهد في المشهد كيف يقف الإله آبو على منصة مستديرة مزينة بمنحوتات بارزة، وترك الجزء العلوي منه عارياً. وهو يرتدي وزرة طويلة مشدودة بحزام. وله شعر رأس طويل يتدلى على كتفيه، وله لحية طويلة مطلية بطلاء قيري أسود اللون والعيون كبيرة ومطعمة بأحجار شبه كريمة.

أما زوجته فعملت بحجم صغير وكانت تقف على منصة مستديرة وترتدي رداءاً طويلاً يغطي جميع أجزاء الجسم ما عدا الكتف الايمن فإنه عارٍ ، وهي تحمل قدحاً في يدها اليمنى. وشعر رأسها مصفوف ومطلي بالقير الأسود، والعيون كبيرة ومطعمة بأحجار شبه كريمة، والحواجب متلاصقة والأنف مكسور، والفم صغير.

عموماً أن التمثال لا يحمل أية صفات خارجية يمكن من خلالها تميزه على أنه إله بصفة عامة من مثل غطاء الرأس المقرن أو بعض الكتابات، لذا يعتقد أنه كاهن أو أمير كان يمثل الإله، بينما هناك من يرى أنه الإله نابو كما أشرنا أعلاه استناداً للنقوش البارزة الموجودة على قاعدته والتي انفرد بها عن بقية مجموعة التماثيل.

ومن النماذج الأخرى التي يمكن الإشارة إليها تمثال المغنية (أورنانشا)، الذي عثر عليه في معبد( نيني زازا) في مدينة ماري الواقعة قرب البو الكمال حوالي ٢ كم على الفرات، وهي تظهر بوضعية الجلوس مثلها مثل الكثير من التماثيل الشمالية، وهو معمول من حجر الكلس بارتفاع ٢٦ سم. يبدو التمثال دقيق الملامح له شعر مصفف ويتدلى خلف الظهر. أما الرأس فكان صغيراً والعينان واسعتان كما هي عيون السومريين والحاجبان ملتقيان عند أعلى الأنف، وقد رصعت العينين والحاجبين باستخدام الحجارة الملونة. واليدان مهشمتان وهما في حالة حركة إلى الأعلى وكأنهما كانتا تحملان آلة موسيقية، أما أسفل الجسم فمغطى براء به خصل من فراء ويظهر من هذا الرداء الأرجل التي تأخذ شكلاً متعامداً والساق الأيمن تعلو الساق الأيسر. ويظهر هذا التمثال تقدماً ملموساً في فن النحت واهتماماً كبيراً في اظهار الجسم والملامح ويعبر عن خصوصية في التشكيل وحرية في الأسلوب. ينظر الشكل الآتي :

حاول الفنان السومري إدخال النحت في العمارة أيضاً كجزء تزييني مكمل للعمارة، إذ نلاحظ في أحد معابد تل العبيد وضع تكوين نحتي على أعلى المعبد. يمثل هذا التكوين النحتي الإله ننكرسو وهو على شكل نسر برأس أسد وقد أمسك بأضافره غزالين متدابرين، وقد أطر هذا التكوين بإطار نحاسي أعدد ليحدد شكلاً تناظرياً منظماً يشير إلى الهدوء الذي يسود هذا المعبد، وهذا التشكيل محفوظ في المتحف البريطاني. ينظر الشكل الآتي :

كما حاول النحات اشغال الجدران الداخلية للمعبد بأفاريز منحوتة بشكل بارز ومن مواد مختلفة حتى يضفي جواً تزييني على المعبد ويزيد الحركة على الجدران دفعاً للملل والرتابة، وكانت موضوعات هذه الجداريات النحتية تمثل عمليات تربية الحيوانات وصنع الألبان. وقد نفذت هذه الجداريات بارتفاع يتراوح بين ٢٠-٢٢ سم، وباستخدام الأصداف البيضاء والوردية وعلى خلفية سوداء، تميزت هذه الأفاريز بتكويناتها الإيقاعية المتنافرة وخاصة الشخصيات وخاصة الشخصيات المركزية للتكوين. إن هذا النوع من المنحوتات التزينية المعمارية سواء كانت على الجدران الداخلية أو الخارجية للعمارة ظهرت لأول مرة من هذا العصر. ينظر الأشكال الآتية :

**فن التعدين والتطعيم**

كشفت البعثة الأثرية المشتركة من المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الأمريكية برئاسة السيد ليونارد وولي عن المقبرة الملكية في مدينة أور الشهيرة والتي تعود بتأريخها إلى هذا العصر. محتويات هذه المقبرة ضمت آثاراً قيمة دلت على التقدم الرائع الذي بلغته الفنون التطبيقية في العصر السومري، بلغت الموجودات واللقى الفنية في مقابر مدينة البالغة أكثر من ٤٥٠ مقبرة حوالي ١٨٥٠ قطعة فنية. ينظر الشكل الآتي :

صنعت في الغالب من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة والفضة والالكتروم ( مزيج مصهور من الفضة والذهب)، فضلاً أوانٍ وأقداح للشرب مصنوعة من الذهب. ينظر الشكل الآتي:

لقد ازدهر فن التطعيم في هذا العصر وذلك من خلال ملاحظة تطعيم عيون كثير من التماثيل الخاصة بالآلهة والمتعبدين. وتعد القيثارات الذهبية من بين أبرز ما وجد في مقبرة أور الملكية من هذا العصر. فالقيثارة السومرية الشهيرة المزينة برأس الثور، والتي وجدت في هذه المقبرة كانت قد صنع بدنها من الخشب المطعم بالصدف والمثبت بالقار، وقد زخرف ذراعا القيثارة وجانبا صندوق الموسيقى بزخارف هندسية، أما الجزء الأمامي من الصندوق فقد زخرف بزخارف من الصدف لأشكال أدمية وحيوانية مرتبة بعضها فوق بعض تحاكي أساطير سومرية ذات علاقة بالمعتقدات الدينية.

الجزء الأبرز في هذه القيثارة فهو رأس الثور الذي في مقدمتها والمصنوع من الذهب وقد رصعت لحية الثور وشعر جبهته وعيونه بأحجار اللازورد الكريمة.

كانت القيثارة السومرية مزينة بمشاهد أسطورية متألفة من أربعة أقسام تمثل وليمة أسطورية، في الحقل العلوي منها يظهر بطلٍ عارٍ يمسك بثورين بيديه، بينما في الحقل الذي يليه يظهر حيوان ربما يكون ثعلباً يحمل مائدة الطعام ويقف خلفه أسداً يحمل قدحاً وجرة شراب، أما في الحقل الثالث فهناك مشهد يمثل حفلة موسيقية تعزف فيها الحيوانات على قيثارة وطبل وهناك دباً يرقص، وفي الحقل الأخير نشاهد رجلاً يقف خلفه حيوان. ينظر الشكل الآتي:

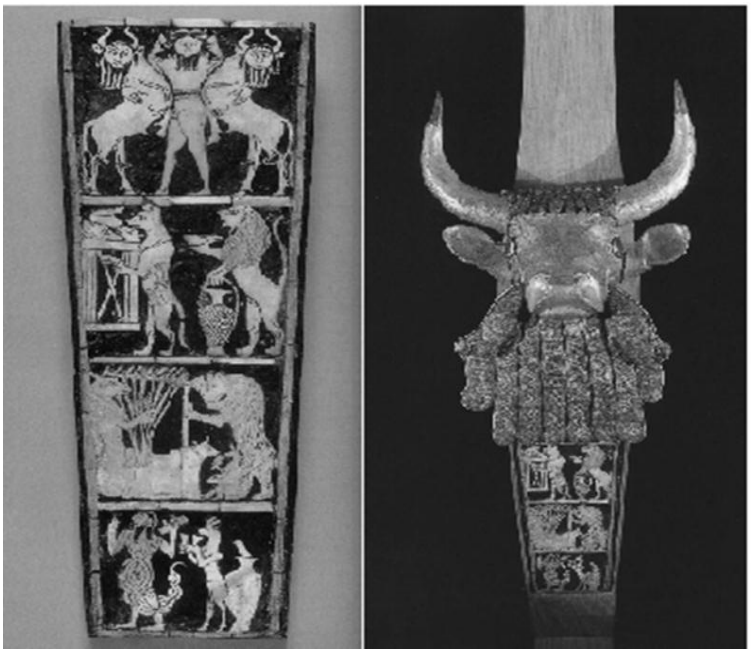

امتازت موجودات المقبرة الملكية بشكل عام بصناعة فنية عالية الجمال وبذوق يشير إلى فنان متمكن من أدواته، كما تدل على ذلك صياغة الأسلحة الذهبية. ينظر الشكل الآتي :

وقد طعم بعضها بالأحجار الكريمة، مما يؤشر وجود طبقة مبدعة من الصاغة الذين أبدعوا أيضاً الذهبية الحربية التي تعود للملك السومري ( ميسكلامدوك). ينظر الشكل الآتي :

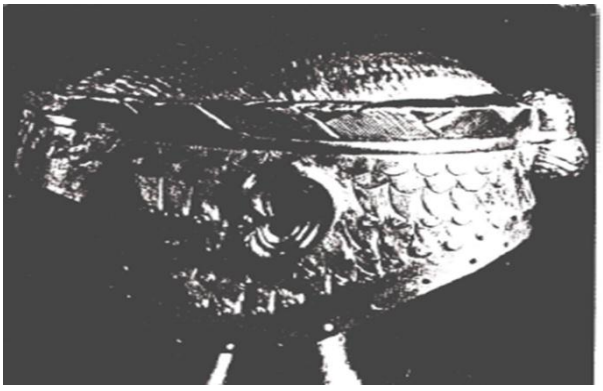

تشير صناعة هذه الخوذة إلى الدرجة الرفيعة التي وصل إليها الفنان السومري في تسجيل التفصيلات الدقيقة لشكل غطاء الرأس الحربي عند السومريين، وهي تثبت وتؤكد أقدم محاولة لصنع غطاء الرأس الحربي لحمايته من الإصابة في الحروب.

أثبت السومريون أن لديهم مقدرة عالية في صنع مشغولاتهم بأكثر من معدن، كما هو الحال في القيثارة السومرية الشهيرة، وهذه خاصية فنية تحسب وتسجلهم لهم وهي أحدى مميزات الفن السومري. ولدينا أمثلة عدة على ذلك، منها قطعة فنية عثر عليها في مقبرة الملكة شبعاد مؤلفة من جزئين الجزء الأول حلقة زمام والثاني الذي يعلو الأول بهيئة حمار وحشي، صنعت هذه القطعة من سبيكة الألكتروم. ينظر الشكل الآتي :

كما عثر في أحد القبور الملكية على تمثال صغير لحيوان خرافي على هيئة جدي مجنح، يقف على قاعدة خشبية مطعمة بالصدف ويرتكز بأطرافه الأمامية على شجرة مزهرة مصنوعة من الذهب. يلاحظ أن هذا الحيوان كانت قد صنع من أكثر من مادة، فالرأس والقوائم الأربع صنعت من الذهب بينما ريش الجناح الذي غطى الظهر مصنوع من خامتي الصدف لبعض أجزاء الريش وحجر اللازورد الأزرق للأجزاء الأخرى. ربما يرمز هذا الحيوان المركب إلى الإله تموز رمز الخصب والنماء في حين ترمز الشجرة إلى شجرة الحياة المقدسة عند السومريين. ينظر الشكل الآتي :

كما لا بد من الإشارة إلى مثال أخر جميل يؤكد مهارة السومريين في صياغة المعادن، وهي الزهرية الطقوسية المصنوعة من الفضة والنحاس والتي تعود لحاكم لكش (أنتمينا)(٢٤٠٥-٢٣٧٥ ق.م). وهذه الزهرية مدينة بأهميتها البالغة إلى الأفاريز المحفورة التي تزينها، فالبدن

يتكرر عليه موضوع الطائر المفترس برأس أسد والذي يمسك بحيوانين أربع مرات، وقد تم اشغال الفراغات بين هذه الموضوعات بتعاقب الأسود مع الأيائل والماعز، كما يوجد إفريز آخر فوق هذا الإفريز وعلى كتف الإناء يمثل ماشية مضطجعة، بينما شغلت رقبة الإناء بكتابات مسمارية محفورة بدقة عالية. ينظر الشكل الآتي :

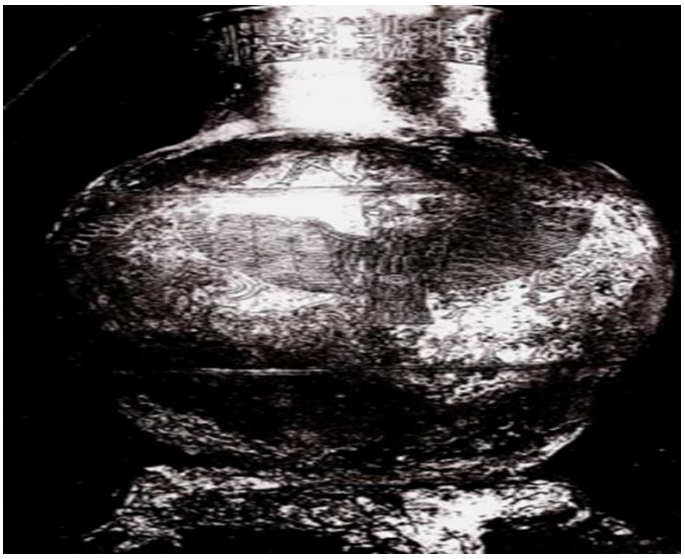

ومن القطع الفنية المعمولة من مادة النحاس هناك تمثال عثر عليه في موقع خفاجة في ديالى، يعتقد أن التمثال كان يحمل على رأسه إناء بدلالة المسند المثبت على الرأس، وتدل صناعته على إلمام الفنان بالنسب الجسمية. ينظر الشكل الآتي :

كما أن استخدام المعادن في الصب والسباكة جعل النحات أكثر حرية في تحريك تماثيله المعدنية والتعبير عن الحركات العنيفة، ويتضح ذلك بشكل واضح في التمثال الذي عثر عليه في تل أجرب في ديالى، والذي يمثل رجلين ملتحمين في حلبة المصارعة، وعلى رأسيهما إناء كبير وجب عليهما الاحتفاظ به دون سقوطه أثناء النزال، يبدو أن هذا النوع من الصراع كان يوظف لأغراض أخرى غير الرياضة، وربما لأغراض دينية. ينظر الشكل الآتي :

إذ كانت الأواني على سبيل المثال تستخدم في الإحتفالات الدينية والطقوس التعبدية التي تقام في المعابد حيث توضح المباخر لطرد الأرواح الشريرة.

وأخير نشير إلى قطعة فنية فريدة عثر عليها في تل أجرب في منطقة ديالى هي عبارة عن عربة من النحاس. ورغم صغرها فارتفاعها لا يزيد ٣ بوصات إلا أن تؤلف قطعة نادرة توثق لتاريخ النقل قديماً. وهذه العربة ذات عجلتين تجرها أربعة حيوانات جنباً إلى جنب وربطت الحيوانات في الوسط بنير أقفل بقوة على طوقها، أما الرجل الواقف الذي يقود العربة فيبدو رجلاً ملتحياً ذو شعر طويل، يده اليسرى تمسك بزمام العربة في حين رفع يده اليمنى وكأنه يحمل سوطاً ويبدو أن هذا السوط قد تآكل بفعل الصدأ. ينظر الشكل الآتي :

ومن بين أجمل النتاجات الفنية (علبة مجوهرات) وجدت في المقبرة الملكية في مدينة أور. تتكون من قسمين كل قسم يتألف من ثلاثة أشرطة. ينظر الشكل الآتي :

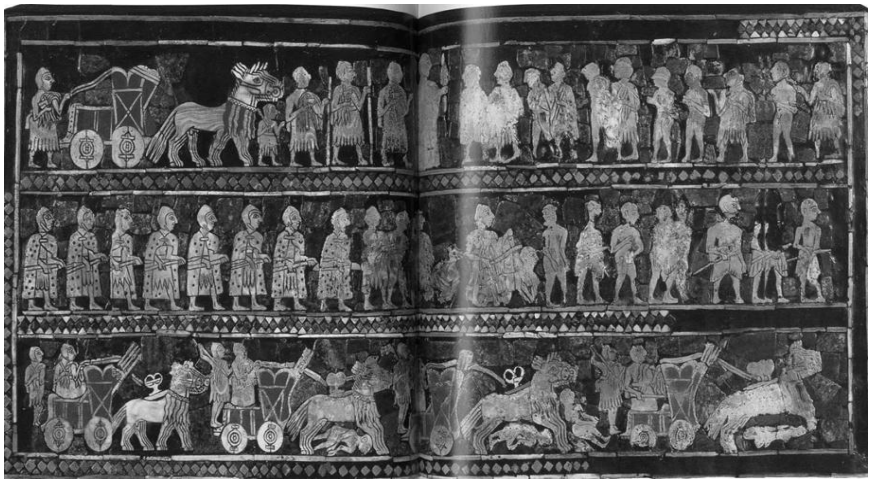

القسم الأول من هذه اللوحة يمثل مشهد حربي، إذ نجد في الشريط العلوي الأمير وهو يتوسط جنده، وقد جعل بحجم أكبر من الشخصيات الأخرى، وهذا من مزايا الفن السومري من خلال وضع الشخصية الرئيسية بحجم أكبر من بقية الشخصيات.

أما المشهدين الثاني والثالث فتمثل جنوداً من المشاة مع عربات حربية وهم يتوجهون إلى المعركة وهم مدججين بالسلاح، وبكامل عدتهم الحربية. ويبدو أن هذه المركبات الحربية تسير فوق جثث الأعداء.

القسم الثاني من اللوحة فهو مشهد احتفال بالنصر وهو أيضاً مقسم إلى ثلاثة أشرطة. يظهر في الشريط الأول أميراً برفقة حاشيته ومرافقيه، بينما نشاهد في الثاني والثالث وفوداً تقدم الهدايا، فضلاً عن تقديم الغنائم الحربية.

أن ما قدمناه من نماذج عن فن التعدين والتطعيم تظهر لنا قدرات ومهارات الفنان بلاد الرافدين القديمة، وعظمة الموروث الفني لبناة الحضارة الجنوبية